عبلة زلاقي
جامعة مولود معمري تيزي وزو

الرمز ودلالته في كتاب جبران لاسكندر نجار

مقدّمة

لا يختلف اثنان على أنّ الأدب العربيّ كان وما يزال من أهمّ الآداب العالميّة رفعة وسموّا، وهذه المكانة والقيمة إنّما استمدّها من صدق وإخلاص أدباءه له، وخير دليل على ذلك مختلف الدّراسات الّتي أجريت حوله وحول كتّابه، فنجد بعضهم اختصّ بدراسة الأدب المهجري، وامتاز هذا الأخير عن بقيّة الآداب بأنّه نابع من تجارب ذاتيّة ووجدانيّة واقعيّة، عاشها الأديب المهجريّ بكلّ أحاسيسه، خاصّة إن اتّسم هؤلاء الأدباء بالرّومانسية المفرطة أحيانا، وعلى اختلاف أدباء هذا الأدب اختلفت أيضا نزعاتهم، فأصبح لكلّ أديب نزعة تميّزه عن غيره، ومن أبرز هؤلاء زعيم أدب المهجر «جبران خليل جبران»، حيث كان له الدّور الأكبر في تأسيس هذا الأدب بمؤلّفاته النّثرية والشّعرية.

ولأنّ إنتاجه الأدبيّ تعرّض للدّراسة منذ أمد بعيد، أصبح الاهتمام به من قبل الباحثين والدّارسين في وقتنا الرّاهن قليل، بحجّة أنّ أدبه هضم من جميع الجوانب، لذا أصبحت أيّ دراسة متعلّقة به غير مغرية، إلاّ أنّنا نجد العمل الأدبي لاسكندر نجّار في كتابه جبران يختلف كلّ الاختلاف عمّا جاءت به سابقاته من الدّراسات، فقد سلّط الضّوء على دقائق في حياته من شخصيّة جبران وعلاقته بأصدقائه وأدبه وفنّه وأفكاره وروحانيّاته بأسلوب عذب مشوّق، مستندا إلى معطيات جديدة وإلى وثائق نادرة يُكشف عنها لأوّل مرّة، وهذه السّيرة تعتبر مقاربة لصاحب النّبي والّتي يسبر فيها عن أغوار شخصيّته عبر إظهار حداثته ورصد علاقاته الغرامية، وبيان موقعه

في الوسط الفنّي والثّقافي الّتي عرفها عن العرب وتجاوزها إلى العالميّة والخلود.

وقد ارتأينا أن نقدّم هذه الورقة البحثيّة الموسومة بالرّمز ودلالته في كتاب جبران ذلك أنّ الرّوائي الأديب وللمرّة الأولى جمع مختارات من رسوم جبران الّتي يعود بعضها إلى متحف جبران في بشرّي والبعض الآخر في متحف سومايا في المكسيك، كما أنّه وظّف العديد من الرّموز في كتابه بأسلوب سلس يتيح للقارئ معرفة أفضل بهذا المبدع وفهما أعمق لأفكاره.

فيا ترى ما المقصود بالرمز؟ وما هي أنواعه؟ وكيف وظّفه اسكندر نجار في كتابه جبران؟

1. الرمز في الشّعر العربي المعاصر
تعريفه لغة واصطلاحًا

من أهم ما ورد في شعر الحداثة، الرمز، وهو من الموضوعات الأكثر شيوعًا في الشعر العربي الحديث.

1.1. الرمز لغة

يعني الإيماء والإشارة والعلامة . وترامز القوم أي أومؤوا وأشاروا خفية بالعينين أو الشفتين أو الحاجبين. أو أيّ شكل من أشكال التّعبير اللفظي أو غير اللفظي. وورد في لسان العرب (لابن منظور) في مادة رمز: "الرمز معناه تصويت خفي باللسان كالهمس وتحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت، إنّما هو إشارة بالشفتين, وقيل الرمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم , والرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبأن بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين)[1]. وقد ورد هذا المعنى بأكثر من معجم مثل المحيط في اللغة وتاج العروس والعين والقاموس المحيط الخ... وجاء في تهذيب اللغة للأزهري: "والرمز والترمز في

1 ابن منظور ،لسان العرب،تح، عامر أحمد حيدو، ج٦ ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، س ط2003م، ص 222 – 223، مادّة: رمز.

اللغة: الحركة والتحرّك.[2]

وردت لفظة الرمز في الآية المذكورة في القران الكريم:

«قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ» [3]

أي أن يومئ لهم فقط، يعني إشارة بنحو يد أو رأس (لا تكلم أحدًا إلاّ بالإشارة). وجاء في معجم اللغة الفرنسية : والرمز الإشاري أساس الأديان جميعها في الأصل أمّا في الشّعر، فالرمز يعيد الشعر إلى ينابيعه الأولى، لأن الشعر في أصول أغراضه لا ينوه عن الأشياء، الواقعية مباشرة، بل يعبر عنها بطريقة صورية إشارية.[4]

1. 2. الرمز اصطلاحًا

الرمز هو ما دلّ على غيره وله وجهان: كدلالة المعاني المجردة على الأمور الحسية مثل دلالة الأعداد على الكميات، ودلالة الأمور الحسّيّة على المعاني المتصورة كدلالة الثّعلب على المكر ودلالة الحرباء على التقلّب مثلا...؟ أمّا (أدونيس) فيعرّفه أنّه "اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة التي تتكوّن في وعيك بعد قراءة القصيدة، إنّه البرق الذي يتيح للوعيّ أن يستشفّ عالمًا لا حدود له، كما يعرف أنّه "اللفظة" التي يشحنها الشاعر بطاقات إيحائية ذات دلالات متعدّدة تختلف من شاعر إلى آخر، تحقق أغراضًا متنوعة من خلال وجودها في القصيدة وتوظيف الشاعر لها، وتتميز بالإيحاء المحدث للغموض الذي يفجر تأويلات المتلقي بسبب

2 انظر في هذه المعاجم ذيل مادة: "ر م ز".
3 القران الكريم – سورة آل عمران – الآية 41.
4 كرم,أنطون,الرمزية والأدب العربي الحديث ص 8 – 10

ذلك الغموض في الصورة الشعرية للنص. ويمكن القول إنّ الرمز بمفهومه الشّامل هو ما يمكن أن يحلّ محل شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريقة المطابقة التامة وإنّما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضيّة أو علاقة متعارف عليها، فالرمز وسيلة إيحائية تستخدم للشعر، إذ هي قادرة على الإيحاء والتلميح.[5]

لذلك، أصبح الرّمز سمة من سمات الشّعر العربيّ المعاصر ومن أهم موضوعات الحداثة ودلالة على رؤية جديدة، وعلامة جديدة على ما يقصده الشّاعر لتحثّ القارئ على الاستكشاف والتعمّق أكثر ليخترق الغموض ويظهر معناه .

فالرّمز أطلق على ما يشير إلى شيء آخر غير المعنى الواضح، و"يتيح لنا أن نتأمل شيئًا آخر وراء النص، فالرمز قبل كل شيء معنى خفي وإيحاء[6] إذا، فالرمز بديل عن شيء آخر أو شيء يحلّ محلّه، الشيء الذي له وجود حقيقي معلوم، وبواسطة الرّمز يشير إلى فكرة أو معنى محدّد، فالعلاقة الداخليّة تربط الدّال بالمدلول مثلاً الصليب يرمز إلى المسيحيّة. وقد عرّف معجم مصطلحات الأدب الرّمز أنّه: "كل ما يحلّ محلّ شيء آخر في الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة وإنما بالإيحاء وعادة يكون الرمز بهذا المعنى شيئًا ملموسًا يحلّ محلّ المجرد كرموز الرياضيات. ولقد ذهب بعض الباحثين في تعليقاتهم إلى أنّه: "شيء حسّي يعتبر كإشارة لشيء معنوي لا يقع تحت الحواس.[7]

2. الدّلالة

يعدّ علم الدّلالة من أهمّ العلوم اللّغوية الّتي أخذت خطّا ماضي الدّراسات اللّغوية القديمة والحديثة لما لهذا العلم بالغ القيمة في تحديد وتنوّع الدّلالات والمعاني والتّأويلات، فما معنى علم الدّلالة اللّغوي والاصطلاحي؟

5 أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط 1،12-1987
6 أدونيس, علي أحمد سعيد، الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، ص 16.
7 أحمد محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر ، دار المعارف ، ط3 ، دمشق 1984، ص40.

2. 1. الدّلالة لغة

مفرد الدّلالات وهي مأخوذة من دلّ يدلّ إذ هدى، وقد ذكر أصحاب المعاجم والقواميس معاني منها:

«دلّ: دلّه على الطّريق، وهو دليل المفازة وهو إدلائها، وأدللت الطّريق اهتديت إليه، وتدلّلت المرأة على زوجها ودلّت تدلّ. وهي حسنة الدّال واللّام وذلك أن تتدلّل، كأنّها تخالف وليس بها خلاف.»[8]

وجاء في معجم مقاييس اللّغة (ابن فارس): «الدّال واللّام أصلان أحدهما إبانة الشّيء بأمارة لتعلّمها والآخر اضطراب في الشّيء»[9]

وأمّا في القرآن الكريم فقد وردت دلّ ومشتقاتها بعضها: مثل قوله تعالى:

« ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢﴾ »[10]

فإن تتبّعنا مادّة (دلّ) في المعاجم والقواميس نجد أنّ دلالة هذا اللّفظ تقترب من دلالتها الّتي وردت في القرآن الكريم.

8 ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر بيروت، 1979،ج2، ص259.

9 الزمخشري، مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي مبحث دلالي) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994، ص6.

10 سورة القصص، الآية 12

2. 2. الدّلالة اصطلاحا

تعني الدّلالة في الاصطلاح ما يتوصّل به إلى معرفة الشّيء ، كدلالة الألفاظ على المعنى الّذي توحي به الكلمة المعيّنة، أو تحمله أو تدلّ عليه سواء أكان المعنى قائما بنفسه أو عرض.

ولمّا كانت الدّلالة مقصودة بمعنى اللّفظ دون غيره تحدّد علم الدّلالة الاصطلاحي بكونه: «علما خاصّا بدراسة المعنى في المقام الأوّل، وما يحيط بهذه الدّراسة أو يتداخل معها في قضايا وفروع كثيرة صارت اليوم من صلب علم الدّلالة كدراسة الرّموز اللّغوية[11] (مفردات، عبارت، وتراكيب) وغير اللّغوية كالعلامات والإشارات الدّالة.

2. 3. أسماء علم الدّلالة

أطلقت عليه أسماء متعدّدة أشهرها في اللّغة الإنجليزية Semontics، أمّا في اللغة العربية فبعضهم يسمّيه علم الدّلالة بفتح الدّال وكسرها، وبعضهم يسمّيه علم المعنى دون تسميته بالجمع (علم المعاني) الّذي هو فرع من فروع علم البلاغة ، والبعض يسميه السيمانتيك نسبة إلى الكلمة الفرنسية أو الإنجليزية.

ثانيا: نشأة الرمزية في الشّعر العربي الحديث

بدأت الرمزية تلوح في القصيدة الغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وذلك على يد الشاعر الفرنسي (بودلير) عن قصيدته التي كتبها وسماها باسم «المراسلات» وقد كانت تلك القصيدة هي الأيقونة التي تفجّرت عنها خصائص الرمزية ، ثم جاء بعده (رامبو) الذي سار على خطاه، أمّا في الشعر العربي فقد أجمع دارسو الأدب العربي أنّ القصيدة الرمزية قد ظهرت أوّل مرة على يد الشاعر

11 ميشال غازار ميخائيل، اهتمامات علم الدّلالة في النّظرية والتّطبيق، شركة المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2012، ص16.

أديب مظهر، وذلك عن قصيدته التي سماها «نشيد السكون» فكانت أيقونة تفجرت بعدها الرمزية الشعر العربي.[12] ثم استطاع الشاعر سعيد عقل أن يسير على ما بناه الشاعر أديب مظهر، ولكنّه لم يقتصر على ذلك بل حاول أن يضع أساسات أخرى للرمزية ووسائل أدائها، ومن الجدير بالذكر أنّ الرمزية هي واحدة من المدارس الأدبية، لكنّ انتساب الشعراء والأدباء إليها لم يكن محدوداً كما المدارس لأخرى، ومن أشهر من استخدم الرمزية في كتاباته النثرية جبران خليل جبران الذي كان ثورة في عالم الإبداع، واستطاع أن يُقدم معانيه العميقة محفوفة بهالة من الضباب. (لقراءة المزيد، انظر هنا: حضور الرمز في الشعر العربي).

ثالثا: أنواع الرمز في الشعر العربي الحديث: كيف تجلّت أنواع الرمز في سطور الشعر العربي؟ ظهر للرمز العديد من الأنواع ومن بينها:

1. 1. الرمز التراثي: وهو من أكثر الرموز التي يميل لها الشعراء؛ لإضفائها عراقة وأصالة على العمل الأدبي، ويُقسم الرمز التراثي إلى العديد من الأقسام ومن بينها:

1. 2. الرمز التاريخي: والذي يُقصد فيه توظيف العديد من الأحداث التاريخيّة، أو الأماكن التي ارتبطت بأحداث تاريخيّة مشهورة، أو وقائع مهمة في العمل الأدبي. الرمز الديني: وهو الذي يُضفي على النص أبعادًا نفسية وروحانية عالية تتوغّل في مكنونات النفس الدّاخليّة فتؤثر في الخطاب وأنماطه الإيحائية.

1. 3. الرمز الصوفي: إنّ مهمة الرمز الصوفي الخروج من عالم المحسوسات ورؤية الجمال الإلهي من خلال انعكاسه على المظاهر الحسية، فيجد القارئ أنّ البحث الجمال عند الصوفية ينتقل من عالم العقل إلى عالم المشاعر وتجاوز هذا العالم إلى اليقين.

12 مي عبد العزيز التركي ، ساره عبد الله المجراد، الدراسات الأدبية (المدرسة الرمزية)، ص1-4. بتصرّف.

1. 4. الرمز الأسطوري: يهدف الرمز الأسطوري إلى دمج المعاني المتشابهة وصهر الأفكار المتقاربة للوصول إلى الغاية المتمثلة بدمج الحدود والفوارق، ويؤكد الرمز الأسطوري على تأكيد كل ما هو قدسي. الرمز الخاص: إنّ الرمز الخاص يكون من ابتكار الشاعر نفسه أي لم يصطلح عليه الأدباء من قبل، بل هو نابعٌ من تجربة الشاعر الشخصية، وتُعرف دلالة هذا الرمز من خلال السياق وكذلك التجربة الشعرية، ولا بدّ من وجود بعض القرائن التي تدلّ عليه.

1. 5. الرمز الطبيعي: يقوم الرمز الطبيعي من خلال توحيد الذات الإنساني مع العوالم الطبيعية وشحن تلك العوالم فيستنبط الشّاعر الطّاقات الدّاخلية لتلك الرمزية وشحنها بجملة من المشاعر والأفكار الجديدة، ويتم توظيف تلك الرّموز بناء على هوى الشاعر، وغالبًا ما يكون الرّمز الطّبيعي ضبابيًا لا يستطيع القارئ الوصول إلى معناه الموضوعي في أكثر الأحيان.[13]

رابعا: مستويات الرّمز في الشّعر العربي الحديث: كيف قسّم النّقاد الرّمز إلى مستويات؟ يقسم الرّمز إلى مستويين اثنين وهما:

1. 1. الرمز الجزئي: هو الأسلوب التي تكتسب فيه الكلمة الواحدة أو الصورة الجزئية قيمة رمزيّة، وذلك من خلال تفاعلها مع الأمور التي ترمز إليها، فتثير اللفظة الكثير من المعاني الخفية التي يستثيرها ذلك الرمز، وقد يكون ارتباط ذلك الرمز بمواقف اجتماعيّة أو بأحداث تاريخية أو بتجربة عاطفية أو بظاهرة عاطفية وما إلى ذلك.

1. 2. الرمز الكلي: يُطلق على هذا المستوى اسم الرّمز الكلّي أو الرّمز المركّب، وهو الفكرة الأساسية والمطلقة والمحور الأصلي الّذي تدور من حوله جميع الأفكار الجزئية والرموز متناثرة في الصورة الأدبيّة الكاملة، فمهما تناثرت الصّور الصّغيرة تكون هناك قوة أثيريّة عظيمة تربط بين تلك الصّور برباط خاصٍ نابعٍ من التّجربة الشعرية.[14]

13 نادية دبي، الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان، ص 12. بتصرّف
14 الزهرة بن عمر، الرمز في شعر عثمان لوصيف، ص 17. بتصرف.

خامسا: خصائص الرّمز في الشّعر العربي الحديث: ما هي الفوارق التي جعلت من القصيدة العربية رمزية؟ برزت العديد من الخصائص الرمزية التي يمكن من خلالها فهم القصيدة الرمزية، ومن ذلك:

1- الوحدة العضوية للبناء الفني: معنى الوحدة العضوية للبناء الفني أيّ: أن تكون القصيدة بحد ذاتها تمثل فضاء كاملا متسعا مستقلا بنفسه يتداخل فيه كل شيء معا، وبذلك تكون القصيدة في داخلها وحدة كاملة حية ونسيجا متناسقا تتضافر فيه الخلايا فتكون كل واحدة مؤدية إلى الأخرى وهكذا حتى يكتمل بناء العمل الفني، فيكون وحدة بحد ذاته لا يمكن اقتطاع أي جزء منه ولو كان ذلك لضاعت الصور المعنوية والعناصر الجمالية.

2- تفسير النغم الشعري: ينطلق من حدس القارئ إنّ فهم القصيدة الرمزية يتوقف على القارئ بحد ذاته، فلا يكون الأديب هو المبدع فقط والقارئ هو المتذوّق كما اعتاد العرب في القصائد القديمة، بل لا بدّ للقارئ من بذل نفس جهد المبدع من أجل الوصول إلى المعاني، وبذلك الفضاء يستطيع الأديب والقارئ أن يلتقيا معا، وبذلك يكون المعنى الجمالي ليس منوطا في الكلمة نفسها وانّما بالمسافة التي يتصورها القارئ ما بينه وبين القصيدة والمبدع في آن معا، وبذلك يكون النص الشعري الذي اعتمد على الرمزية متجددا بتجدد الفهم باختلاف العصور.

3- اتخاذ الرمز وسيلة للتعبير: الرمز هو وسيلة للتعبير يتمكّن الشاعر من خلاله أن يخلق معان جديدة لا تستطيع اللغة العادية أن تأتي بها، إنّ الرمز قادر على احتواء التجربةً الشعرية التي يمرّ بها المبدع والأديب، ويستطيع الوصول إلى اللاّوعي عنده وتوليد الكثير من الأفكار في ذهن القارئ كلّما مر على النص فتأمله مرة أخرى، فالرمز الأسطوري على سبيل المثال يستخدم فيه المبدع مجموعة من الكلمات التي ترتبط بأحداث تاريخية، وتهب القارئ قدرة على الوصول إلى المفهوم الذي يريده المبدع دون بذل جهد عظيم منه.

4- الغموض: ليس المقصود بالغموض هو الإيغال في الإبهام، بل المقصود به هو الوصول إلى المعاني العميقة من خلال الصورة الشعرية التي يهدف من خلالها المبدع للوصول إلى أعلى درجات الفهم، فيكون الشعر البسيط الذي يهز القارئ من أعماقه هو نفسه الشعر العميق الذي يحتاج إلى إعمال الفكر والعقل، فتكون روح المعاني مقتبسة من موسيقى الشعر، ويرى كثير من نقاد الشعر أنّ الغموض ليس جديدا بل هو قديم قد الصورة الشعرية المتخيلة التي ترتسم فيها المعاني عبر التشبيه والكناية والاستعارة.

5- غزارة الصور وهندستها العالية: تأتي الصورة في الشعر الرمزي من حياة المبدع الواقعية، فهو يستقي من تجربته صوره التي ينثرها في قصائد فتكون حية معبرة تثير النفس وتصل إلى أغوارها وأعماقها، ولا يأتي الشعراء في الرمز بالصورة الفنية بشكل مباشر بل يهندسونها، بحيث يكسب الشعر إيحائيا عميقًا في النفوس، وهنا تكثر الدلالات لتتشكل القصيدة الرمزية العالية.

سادسا: أدباء المذهب الرمزي في العصر الحديث مَن أشهر راكبي سفينة الرمزية في العصر الحديث؟ كثُر الأدباء الذين اتخذوا من الرمزية أسلوبًا لهم في كتاباتهم، ومن بينهم:

1. 1. محمود درويش: شاعر عربيّ تعود أصوله إلى فلسطين العربية المحتلة، وُلد عام 1941 ميلادي وتوفي عام 2008 ميلادي، واحدٌ من أهم الشعراء الذين أسهموا في تغيير مسار القصيدة العربية فأدخل الرمزية وعلا بها، فامتزجت في قصائده مشاعر الحنين إلى الوطن والأنثى، وأبدع في الحب وتسطيره.[15]

1. 2. بدر شاكر السياب: شاعر عراقي ولد عام 1926 ميلادي وتوفي عام 1964 ميلادي، وهو واحدٌ من أهم مؤسسي الشعر الحر في اللغة العربية، وقد عُرف عن السياب شغفه بالقراءة والبحث والاطلاع على ثقافات الآخرين.[16]

15 محمود درويش، مكتبة نور، اطّلع عليه بتاريخ 14/3/2021. بتصرّف.
16 كتاب ديوان بدر شاكر السياب»، مكتبة نور، اطّلع عليه بتاريخ 14/3/2021. بتصرّف.

1. 3. نزار قباني: واحدٌ من أهم شعراء العرب وتعود أصوله إلى سوريا، وقد ولد عام 1923 ميلادي وتوفي عام 1998 ميلادي، ويعد نزار قباني واحد من أهم رواد المسرح العربي، وأهم من رواد قصيدة الرمز في اللغة العربية.[17]

1. 4. فدوى طوقان: ولدت فدوى عام 1917 ميلادي وتوفيت عام 2003 ميلادي، وتعود أصول الشاعرة إلى فلسطين، وهي من عائلة مشهورة وأُطلق عليها لقب شاعرة فلسطين، حيث كانت قصائدها أيقونة للحب والمرأة والاحتجاجات.[18]

1. 5. موضوع علم الدّلالة:

موضوع علم الدّلالة أيّ شيء أو كلّ شيء يقوم بدور العلامة أو الرّمز، هذه العلامات أو الرّموز قد تكون علاماته على الطّريق وقد تكون إشارة باليد، أو إيماءة بالرّأس، كما قد تكون كلمات أو جملا.

وهكذا تكون العلامات أو الرّموز غير لغويّة تحمل معنى، كما قد تكون علامات أو رموز لغويّة...

ورغم اهتمام علم الدّلالة بدراسة الرّموز وأنظمتها حتّى ما كان خارج نطاق اللّغة، فإنّه يركّز على اللّغة من بين أنظمة الرّموز باعتبارها ذات أهمّية خاصة بالنّسبة إلى الإنسان.

ومثال الرّمز غير اللّغوي سماع الجرس في تجربة (بافلوف) فالجرس قد استدعى شيئا غير نفسه بدليل الكلب حين يسمع الجرس لا يتوجّه إليه ولكن إلى مكان الطّعام.

ومثال الرّمز اللّغوي تجربة سائق السيارة والعائق شخص يقود سيارة أمامه لافتة مكتوب عليها:

17 كتب نزار قبانى»، مكتبة نور، اطّلع عليه بتاريخ 14/3/2021. بتصرّف.
18 كتب فدوى طوقان»، مكتبة نور، اطّلع عليه بتاريخ 14/3/2021. بتصرّف.

الطّريق، إذا سار السائق ولم يعبأ بالرّمز فإنّه سيضطرّ إلى الاستدارة والعودة حين يصل إلى العائق.[19]

3. **النص الأدبي** هو الذي يستخدم لغة أدبية ، وهو نوع من **اللغة** التي تسعى لغرض جمالي معين لالتقاط اهتمام القارئ. يبحث مؤلف الأدب عن الكلمات المناسبة للتعبير عن أفكاره بطريقة راقية ووفقًا لمعيار معين من الأسلوب.

كثيرة ومتنوعة هي الخصائص التي تحدد النص الأدبي. ومع ذلك ، يمكننا تسليط الضوء على ما يلي:

النية الجمالية التواصلية. بهذا ، ما نريد أن نقوله هو أن وظيفتها هي خلق عمل فني ، ومن ثم هدفها فني وليس عملي.

عالم خاص. وسواء كانت حقيقية أو غير مرجعية للإشارات التي استخدمها كاتب النصوص الأدبية ، فإن الأمر الواضح هو أنه يدعو إلى خلق وتطوير عالم يشارك فيه القارئ بشكل كامل عندما يبدأ في قراءة تلك النصوص.

أصالة. غير المنشورة تمامًا هي تلك النصوص التي تولدت من ذهن كاتب يرغب في إخبار جمهوره بقصة.

بالإضافة إلى كل ما سبق لا يمكننا تجاهل وجود مجموعة متنوعة من أنواع النصوص الأدبية. بهذه الطريقة ، من بينها ما يلي تبرز :

القصة الشخصيات القصيرة والخيالية .

الرواية. في العصور القديمة هو أصل هذا النوع من النصوص التي تعد واحدة من أهمها في الأدب والتي تنقسم إلى العديد من الأنواع.

الأساطير ، نصوص أدبية مبنية على أحداث حقيقية وتزين بالخيال.

الشعر. في الآية ومع قافية. هذه هي الطريقة التي تجذب المشاعر.

الخرافة. إن القيام بتجربة أخلاقية وجعل القارئ يتعلم التدريس هو الهدف الأساسي

19 ميشال غازار ميخائيل، اهتمامات علم الدلالة في النظرية والتّطبيق، ص19،20.

لتحقيق هذا النوع من النصوص الأدبية المختصرة والخيالية والتي يمكن صنعها في النثر أو الآية تعتمد جمالية النص الأدبي على المؤلف ويمكن تحقيقه من خلال موارد لغوية مختلفة وتقنيات أدبية. من بين هذه الموارد ، يجب أن نذكر **الموارد النحوية** (من خلال إضافة ، قمع أو تكرار الهياكل) ، علم **الدلالة** (من تغيير معنى الكلمات ، مثل **الاستعارة** أو الكناية) **والصوت** (ألعاب مع حواس **كلمات**).

على سبيل المثال: «إذا كنت تشرب ، لا تقود السيارة. رعاية عائلتك « هو نص إعلامي ينقل رسالة ولكن بدون أي نية جمالية. من ناحية أخرى ، نص مثل «إذا كان كوب من الرحيق المغري يعبر مساره ، أشكركم بشجاعة ورفض العلاج ، لأن هذه المادة قد تكون أعدت من قبل الشيطان نفسه ليعرض للخطر وجود أحبائه» إنها أدبية: الرسالة قابلة للمقارنة مع الرسالة السابقة من حيث المحتوى ، لكن اللغة المستخدمة مختلفة تمامًا.

يوضح هذا المثال كيف يعتمد نوع النص على **النية التواصلية** . لا معنى لتزيين نص مع ألعاب اللغة أو الكلمات اللافتة إذا كنت تريد الوصول إلى أكبر عدد ممكن من القراء.[20]

3. 1. عناصر النصّ الأدبيّ

يحتوي النصّ الأدبيّ على مجموعة من العناصر، وهي:

عنصر اللفظ، وتعتبر الألفاظ البنية الأساسية للنصّ الأدبيّ

عنصر الأفكار، وتعتبر الأفكار عنصر أساسي في النصّ الأدبيّ، فهو الذي يقوم على تفسير الحياة، والمظاهر الطبيعية والإنسان، ويجب أن تتّسم الأفكار بعدّة سمات، منها: الأصالة، والطلاقة، والجمال، وأن تكون قيّمة

عنصر الخيال، إنّ الخيال ذو مكانة متميزة في الأدب، فهو ضروري لصياغة الواقع وبناءه في عالم الأدب

20 https://ar.tax-definition.org/33387-literary-text

عنصر المعاني، تعّد المعاني عمادة النصّ الأدبيّ، وقوام جميع ألوان الأدب.

عنصر العاطفة، التي تعكس كل ما في الصدور من مشاعر، وأفكار، وأحاسيس، وانفعالات.

عنصر الصور البيانية، حيث إنّ الصورة البيانية ذو أهمية كبرى؛ لأنّها تقوم على تجسيد كل ما هو تجريدي وبث الشكل الحسي فيه.

عنصر الأسلوب، ويجب أن يكون الأسلوب ذو ألفاظ متناسقة، ويتّسم الأسلوب بعدة سمات، وهي: **قوة الأسلوب المقصود** به فصاحة الكلمات، ووضوح الأسلوب المتمثل في حسن انتقاء الكلمات، والأفكار، والجمل، وجمال الأسلوب حيث يكون هناك انسجام في عناصر النصّ الأدبيّ.

عنصر الصدق المتمثّل بالصدق الشعوري المفعم بوجدان الأديب، والصدق الواقعي المتمثل بصدق تعبير الأديب عن واقعه وتجاربه.

عنصر الإيقاع الموسيقي، حيث تضفي جمالاً على النصّ الأدبيّ.

3. 2. **خصائص النص الأدبي**

- الفهم الاستماعي الذي يتمثل في ضرورة استقبال النص الأدبي، بحيث يمتلك القارئ للنص الأدبي مهارة الفهم القرائي الاستماعي.

- دور الإلقاء المهم في تجسيد المعنى في الشعر، إذ تعدّ مهارة الإلقاء من أكثر كفايات التواصل مع أيّ خطاب أدبي.

- القدرة والجدة على إثارة الدهشة، أيّ أن يملك القارئ مهارة إنتاج الدلالة، ومهارة استجلاء المعاني، ومهارة إعادة بناء النص.

- إبراز النحو الدلالي الإبداعي، حيث محتوى النص الأدبي يكون ملائم لتدريس النحو.

- تنمية القيم الخلقية في نفوس الناشئة، أيّ نشاة الارتباط الوثيق بين الأخلاق والأدب.

3. 3. الهدف من دراسة النصّ الأدبيّ

- الوقوف على إبداعات الأدباء في نصوصهم وما تحتويها من جماليات، وانفعالات تؤثّر في روح القارئ، والسمات الفنية الأدبية، واحتوائها على قيم موضوعية ترتقي بالإنسان

الحصول على المعرفة والمعلومات الحقيقية، وذلك لفهم الثقافة، والأدب، وحركة الإنسان.[21].

4. أسباب استخدام الرّمز في الشّعر المعاصر

لقد أعزى العديد من الشعراء أسباب شيوع الرمز في الشعر المعاصر إلى مجموعة من الأسباب، وهي :

-العديد من الشعراء المعاصرين كانوا يحملون بين طيات قصائدهم الشعرية رسائل إصلاحية يخاطبون بها روح وفكر المستمعين إلى تلك الأشعار ، وكان هنا لا بد من الاعتماد على الرموز بدلاً من الإفصاح عن المعنى المقصود بشكل واضح وصريح ؛ حتى يتمكن الشاعر من الاستمرار في تقديم رسالته الإصلاحية دون أن يعترض طريقه أحد .

-كما أنّ الرّمز في الشّعر العربي يُمكنه أن يقوم باختصار قصّة كاملة معروفة ومتداولة من العصور الماضية أو كلمة واحدة تشير إلى حدث واحد متعدد التفاصيل ، ومن

21 https://ayamibik-m.forumarabia.com/t13595-topic

هنا كان استخدام تلك الرموز وسيلة هامة يُمكن من خلها أن يعبر الشاعر عن قصة كاملة يريد ربطها بموضوع القصيدة عبر كلمة واحدة وهكذا .

-القصيدة العربية لا تقوم فقط على التلقين ونقل المعلومات السمعية إلى المستمع أو القارئ فقط ؛ بل إنها تسعى دائمًا إلى إيجاد علاقة تواصلية لها نوع خاص بين الشّاعر والمستمعين ؛ ومن هنا فإن استخدام بعض الرموز في القصيدة يجعل المستمع في حالة تفكير وتركيز حتى يتمكن من فهم المقصود وراء الربط الذي هدف إليه الشاعر حينما ذكر هذا الرمز في قصيدته .

-من أبرز الرموز والأسطاير التي اعتمد عليها العديد من الشعراء ذكر اسم سيدنا أيوب في إشارة إلى مدى الصبر والجلد ، وذكر العتيقة وذكر الأساطيل وغيرها العديد من الرموز الأخرى التي جعلت الشعر يأخذ شكلًا لغويًا جماليًا وعميقًا في نفس الوقت .

-كما قد اعتمد بعض الشعراء على استخدام أسماء الأبطال الأسطورية عند الرغبة في الإشارة إلى بعض الصفات البطولية وغيرها في القصائد الشعرية ، حيث قد اعتمد بعض الشعراء على استخدام اسم السندباد وعلاء الدين وغيرهم في أبياتهم الشعرية .

-يُعدّ كلّ من الشّاعر نزار قباني والشاعر محمود درويش وغيرهم من أبرز شعراء الشعر المعاصر الذين قد قاموا بتوظيف الرمز في أبياتهم وقصائدهم الشعرية .

وإذا ما عدنا إلى كتاب (جبران) نجده رحلة عبر الكلمات والألوان يحملنا فيه صاحبه إلى أبرز محطّات حياة جبران مضيئا في كلّ واحدة منها مقولات جبران وأفكاره وانتاجه الأدبي والفنّي ومركّزا على الشّخصيات الّتي تركت أثرا فيه وفي الأحداث الّتي وسمت مساره.

ولعلّ من أبرز التّمثلات الذّهنية الّذي يطابق المدلول الشّائع للكلمة المستعملة عنوانه (**العالم الجديد**) ويرمز إلى الانتقال من حال إلى حال ، هذا الحال قد يدلّ على

أنّه كان سيّئا وتحوّل إلى الأسوأ، وقد يدلّ على أنّه كان سيّئا وتحوّل إلى الأحسن والأفضل، والعارف لحياة جبران كما هو حال أديبنا فهو على دراية بأمور حياة جبران الّتي انقلبت رأسا على عقب بعد سجن والده ومصادرة أمواله وهجرتهم إلى وجهة أخرى (بوسطن) هذا العالم الجديد الّذي يضجّ بالرّيادة في التّاريخ الأمريكي، وقد كان لهذا المكان تأثير إيجابيّ على حياة جبران حيث تعلّم ومارس هوايته في الرّسم والتّصوير.

(العودة إلى الينابيع): يبدو أنّ رمز العودة يسيطر بصورة مركزيّة تتراوح بين القيم الإيجابيّة والسّلبية، فما يعكس البعد الإيجابيّ هو عودة الإنسان إلى أصله، فالتّعلق بالوطن مصدر ملهم ومهما تغرّب الإنسان ووجد الأفضل في أماكن أخرى إلاّ أنّ الحنين إلى الوطن والرّغبة في العودة إليه ولوعة فراقه تدبّ في قلب كلّ مهاجر، وهو حال جبران الّذي كان يرغب بشدّة في العودة، ولعلّ الهدف من وراء ذلك هو تعلّم اللّغة العربيّة، ولا ننسى تباهيه بما أنجزه خلال غيابه، خاصّة بعد الرّفض الّذي تلقّاه في علاقته العاطفيّة مع حلا الظّاهر أو ما يعرف بجدار الفصل الإقطاعي. بينما انعكست دلالته السّلبية بقلق أهله حيال خلاّنه والأوساط الّتي يتردّد عليها فما كان منهم سوى تدبير عودته مجدّد إلى لبنان.

(مدينة النّور): ويعتبر من الرّموز التّاريخية، ومدينة النّور من أشهر المدن قدما موجودة على نهر السّين، حيث أنّها تعتبر من أهمّ الوجهات السّياحية في العالم، ولفظ «مدينة النّور» رمز لما تحفل به باريس من ثقافة، فهي منبر للعلم ومنارة للحضارة والثّقافة في العالم، وقد خرج منها العديد من المفكّرين والفنّانين الّذين تأثّروا بشكل كبير في الثّقافة العالميّة، وقد ارتأى الكاتب على أن يعنونها ب «مدينة النّور» رغبة منه في أن يحيلنا إلى الإنجازات العلميّة والفنّية الّتي حقّقها جبران عند التحاقه بباريس كمشاركته في صالون الرّبيع، وتعلّمه الرّسم والتحاقه بأكاديميّة جوليان وغيرها.

(رمزيّة الصّورة: صورة لسان النّار) ص 216/217: تكتسب النّار من خلال هذه الصّورة ميزة سياقيّة تختلف عن المميّزات الذّاتية للنّار وبتعبير آخر تكتسب أبعادا رمزيّة ديناميكيّة، هي أبعاد القوّة الكونيّة الخالقة، للعالم الجديد عبر رماد التّجدّد والاحتراق، فيكون للنّار رمزيّا فعل «الإحياء» و«التّوليد» و«البعث» أيّ يكون لها فعل كلّي قادر، وهو فعل يتجلّى في آثاره الدّلالية انبعاثيّة ونشوريّة ذات أبعاد حضاريّة وقوميّة، والنّار هنا اضطلعت بالوظيفة الرّمزية للفعل التّصوري، أيّ ما يقترب من وظيفة الكلمة الخالقة الإلهيّة التّكوينيّة.

فالنّار على مستوى معنى المعنى أيّ على مستوى البنية الرّمزية هي الصّورة الإلهية الكلّية القادرة الخالقة والمكوّنة، ولعلّها دلالة نشورية وانبعاثيّة، فتحوّلها إلى رماد ينبثق منه مكامن الخصب والانبعاث والتّجدّد، ولعلّ ذلك يحيل إلى أنّ انبعاث الذّات لا يتحقّق إلاّ بتدمير الذّات القديمة ومحقها.

خاتمة:

إنّ دراسة هذا النّتاج الأدبي الخصب لكتاب جبران يقتضي النّظر في مضامينه العامّة وصور التّعبير فيه، وقد سعينا في هذا العمل إلى دراسة ظاهرة الرّمز في كتاب جبران، محاولين إبراز طريقة توظيف نجّار للرّمز. وتبرز أهمّ نتائج هذا البحث فيما يلي:

1. الرّمز وسيلة فنّية أدبيّة ذات دلالات متعدّدة أهمّها الإيحاء الّذي يعدّ نقطة مهمّة في المجاز اللّغوي.

2. لا يمكن استيعاب وإدراك دلالة الرّموز إلاّ من خلال السّياق الكامل للنّص ويتمّ ذلك بحسب ثقافة ومخيّلة القارئ

3. الرّمز معنى إيحائي ولكلّ أديب عصره وعالمه في توظيف رموز خاصّة به.

4. قليلون هم النّقاد والباحثين الّذين استطاعوا ضبط مصطلح الرّمز إلاّ أنّهم لا ينكرون أنّه وسيلة فنّية يلجأ إليها كلّ أديب لبثّ أفكاره ورؤاه.

قائمة المصادر والمراجع

أوّلا: القرآن الكريم.

• اهتمامات علم الدّلالة في النّظرية والتّطبيق، ميشال غازار ميخائيل، شركة المؤسسة الحديثة للكتاب، ط١، 2012.
• بدر شاكر السياب»، مكتبة نور، اطّلع عليه بتاريخ 14/3/2021.
• الثابت والمتحول بحث في الإبداع والاتباع عند العرب، أدونيس، علي أحمد سعيد .
• الدراسات الأدبية (المدرسة الرمزية)، مي عبد العزيز التركي ، ساره عبد الله المجراد.
• الرمز الطبيعي في شعر إبراهيم طوقان، نادية دبي.
• الرمز في شعر عثمان لوصيف، الزهرة بن عمر.
• الرّمز والرّمزية في الشعر المعاصر، أحمد محمد فتوح، ، دار المعارف ، ط3 ، دمشق 1984.
• الرمزية والأدب العربي الحديث، كرم أنطون.
• زمن الشعر، أدونيس، دار العودة، بيروت، ط 12،1987-1.
• فدوى طوقان»، مكتبة نور، اطّلع عليه بتاريخ 14/3/2021.
• لسان العرب، ابن منظور ،.تح، عامر أحمد حيدو، ج٦ ،دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1، س ط2003م.
• مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي مبحث دلالي)، الزمخشري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994.
• محمود درويش، مكتبة نور، اطّلع عليه بتاريخ 14/3/2021.
• معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ، تح، عبد السلام هارون، دار الفكر بيروت، 1979،ج2.
• نزار قباني»، مكتبة نور، اطّلع عليه بتاريخ 14/3/2021. بتصرّف.
https://ar.tax-definition.org/33387-literary-text
https://ayamibik-m.forumarabia.com/t13595-topic

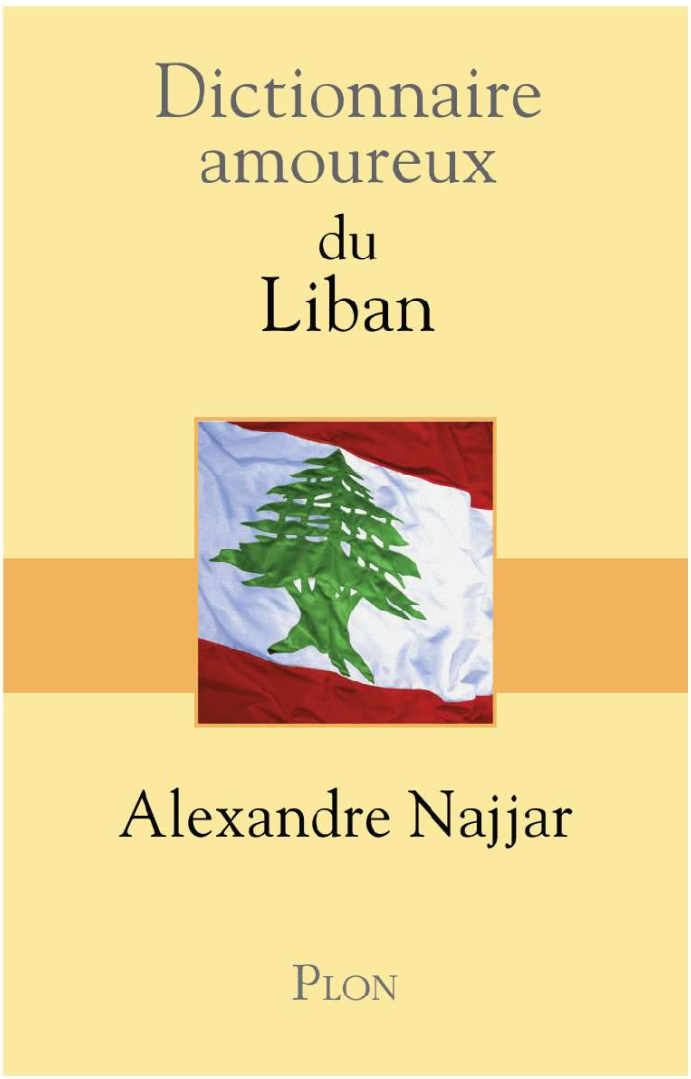

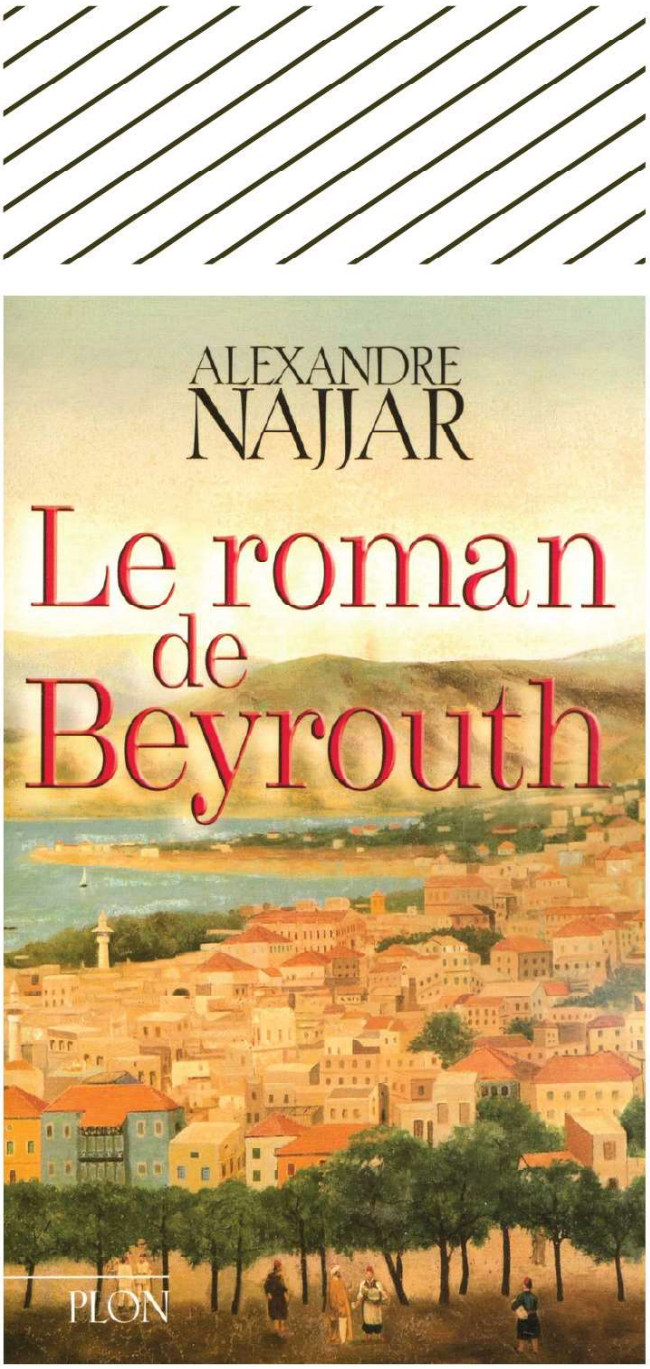

http://www.najjar.org/